إسرائيل ولفنسون وكتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب

– دراسة تحليلية–

(Israel Wolfenson and his book, A History of the Jews in the Arab Countries: An Analytical Study)

أ.م.د. محمد علي صالح

Assistant Prof. Dr. **Mohammed Ali Salih**

دكتوراه تاريخ إسلامي\ سيرة نبوية

جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم التاريخ

Mohamed.s.a@uomosul.edu.iq

07703042703

إسرائيل ولفنسون وكتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب –دراسة تحليلية

أ.م.د. محمد علي صالح

ملخص

يتناول البحث كاتب ومؤرخ يهودي له العديد من الأبحاث في التاريخ اليهودي ،منها كتاب كعب الاحبار وتاريخ اليهود في جزيرة العرب ، بين بتاريخ اليهود في جزيرة العرب استيطانهم في شمال الحجاز واليمن واوضاعهم في المدينة المنورة وركز في بحثه على الفترة التاريخية قبيل البعثة النبوية والسيرة النبوية ،كان له العديد من الآراء التي جافت الحقيقة فجاء هذا البحث من اجل إيضاح موقف ولفنسون من الدعوة الإسلامية ومن تاريخ اليهود في بلاد العرب ،فتبين انه لا يختلف عن غيره من اساتذته من المستشرقين من كونه يرجع اغلب المعطيات الحضارية في الجزيرة العربية الى جهود اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب بل حتى طقوس العرب قبل الإسلام من الحج والنسيء وحتى الدعوة الإسلامية تأثرت باليهود واليهودية ،وبين البحث ما شاب منهج ولفنسون من تشكيك بالمصادر الإسلامية وعملية انتقاء للنصوص وتفسيرها بما يخدم هدفه في بيان الظلم الذي وقع على اليهود في تصوره وما لحق بهم من اضرار على ايدي الأنصار كان بسبب تمسكهم بالديانة اليهودية لا غير كما يزعم .

Abstract

This research examines a Jewish writer and historian who has extensive research on Jewish history, including Ka'b al-Ahbar and the History of the Jews in the Arabian Peninsula. He explores the history of the Jews in the Arabian Peninsula, their settlement in northern Hijaz and Yemen, and their situation in Medina. His research focused on the historical period prior to the Prophet's mission and the Prophet's biography. He held many views that deviated from the truth, so this research aims to clarify Wolfenson's position on the Islamic call and the history of the Jews in the Arab world. It becomes clear that he is

no different from his other Orientalist teachers in that he attributes most of the cultural data in the Arabian Peninsula to the efforts of the Jews who settled in the Arab world. Even pre-Islamic Arab rituals, such as the Hajj and the Nasi', and even the Islamic call, were influenced by Jews and Judaism. The research demonstrates Wolfenson's method, which is characterized by skepticism about Islamic sources and a process of selecting and interpreting texts to serve his goal of demonstrating the injustice he believes the Jews suffered and the harm they inflicted at the hands of the Ansar. This, he claims, was due solely to their adherence to the Jewish religion.

مقدمة

يتناول هذا البحث بعض آراء المؤرخ اليهودي اسرائيل ولفنسون الذي ألف العديد من الكتب منها تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولد اسرائيل ولفنسون سنة ١٨٩٩ ودرس في مصر والتحق بالجامعة المصرية، وصار أول طالب يهودي يحصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية بإشراف الدكتور طه حسين.

له العديد من المؤلفات والدراسات الهامة فيما يتعلق بالتراث اليهودي والإسلامي المشترك، منها تاريخ اليهود في بلاد العرب، وتاريخ اللغات السامية، وموسى بن ميمون والتحق بالدراسات العليا في ألمانيا وحصل على الدكتوراه من جامعة يوهان فولفجانج جوته عام ١٩٣٣ عن اطروحته "كعب الأحبار".

وفي عام ١٩٣٤ انتقل إلى فلسطين لأجل الشعور الديني الذي يعتقده فاشتغل بالجامعة العبرية بالقدس وما يميزه حبه لديانته ورؤيته إياها في أعلى درجات السمو والرفعة، ما جعله يذود عنها اضطره إلى المغالاة والشطط، وأثرت في كتابات ولفنسون فضلاً عن الوفاء لليهود واليهودية آراء المستشرقين الألمان الذين تلقى العلم على يديهم خلال إعداده لأطروحة الدكتوراه من حب البحث العلمي والحفاظ على المخطوطات ونشرها.

تم تقسم البحث الى اربع مباحث جاء المبحث الأول يوضح مزاعم ولفنسون من التأثير اليهودي والديانة اليهودية على العرب في الجزيرة قبيل الإسلام وبعده وهي احدى الفريات التي تعاقد على بثها المستشرقين القدماء والمعاصرين، وجاء المبحث الثاني يناقش

أفكار ولفنسون التي بناها في تخيلاته من اجل الدفاع عن اجداده الذين اعلنوا العداء للدعوة الإسلامية ،اما المبحث الثالث يناقش الفكرة التي اتفق عليها جميع المستشرقين عبر العصور وهي التشكيك بالمصادر العربية والروايات التي اتفق عليه مؤرخي السيرة النبوية ،فاخذ ما يوافق منهجه وترك عمل على تضعيف الروايات التي لا تناسب هدفه ،اما المبحث الأخير فخلص ان ولفنسون رغم حرصه على اظهار نفسه باحث متجرد لا يخضع لاي تأثير الا انه لم يتخلص من الروح اليهودية التي طبعتهم عبر التاريخ ،وانتهى البحث ببعض اعترافات ولفنسون عن تاريخ اليهود والمعاملة التي لم يجدها اليهود في تاريخهم كما وجدوها عند العرب .

أولاً : التأثير اليهودي على الإسلام

يوافق ولفنسون أغلب المستشرقين من كون التأثير اليهودي كان واضحاً وجلياً على الدين الإسلامي، إلا أن ولفنسون كان له منهج خاص في عرض هذا الادعاء، فهو يحاول أن يقلل من شدة أقواله، أو الإشارة بطريقة خفية إلى ذلك من خلال أمور عدة من أبرزها ايراد العديد من الآراء التاريخية والنصوص وتفسيرها بما يخدم ما يرمِ إليه.

وللمستشرق اليهودي رأي متعصب في هذا الجانب ويهاجم كل من يحاول أن يجعل للمسيحية تأثيراً كبيراً أو قليلاً في الإسلام ويحاول أن يافع عن هذا القول ويقدم دليلاً يعده الأكثر قبولاً من الناحية التاريخية فيرد+ على القائلين بالتأثير المسيحي قائلاً: "تجتهد طائفة من أنصار فالهاوزن في أن تبرهن أن تأثير النصرانية في النفوس العربية الحجازية كان أقوى من تأثير اليهود مستندين إلى عدد النصارى العرب كان أكثر من عدد اليهود لكن هذا غير صحيح لأن الكثرة النصرانية العربية إنما كانت على أطراف الجزيرة من جهة الشمال أما في داخل الحجاز حيث المراكز التجارية والدينية والفكرية فقد كان الأكثرية إلى جانب اليهود"[١].

وفي هذا المجال يحشد ولفنسون العديد من النصوص التاريخية التي يعتقد أنها تمثل التأثير اليهودي في عرب الحجاز قبل الإسلام، ولابد من الإشارة قبل إيراد النصوص، إلى أمرين الأول إن ما وجد في تاريخ العرب قبل الإسلام ما يتفق مع بعض العقائد والعادات لأهل الكتاب يرجع إلى ما حافظ عليه العرب من إرث أجدادهم الأنبياء إبراهيم وإسماعيل وأن التوحيد كان سائداً في ذلك الوقت.

الأمر الآخر أن بعض افتراءات ولفنسون إنما هي تفسيرات ذاتية له ترتكز على تفسيرات لغوية بحتة تدخل في المبالغة ولوي أعناق النصوص من أجل تأكيد ما يذهب إليه.

ويجب الإشارة إلى أن ولفنسون حين يقدم هذهِ الآراء التي تبين تأثير اليهودية في العرب قبل الإسلام هي إشارة ضمنية إلى التأثير اليهودي في الدعوة الإسلامية، ومن أبرز تلك التفسيرات أو التأويلات التي حشدها ولفنسون في هذا المجال. التعميم الكامل على أغلب العادات والتقاليد العربية من دون أن يذكر اسم من يستشهد بهم، قائلاً: "ومهما يكن الأمر فإن اتصال العرب باليهود قد ادى إلى تغيير جوهري في عقلية الحضر والبادية بالحجاز، وظهرت هناك نظم جديدة على شؤونهم الاجتماعية وتسربت الاصطلاحات من العبرية إلى العربية وإني اشير هنا إلى بعض التغييرات التي يعتقد العلماء أنها ظهرت في الحجاز بعد وصول اليهود إليها".

ومن تلك العادات التي يرجعها إلى أصل يهودي الختان رغم إقراره أن كثير من الشعوب كانت تمارس الختان ... ويجعل من الختان لدى العرب أنها تأثير يهودي على العرب[٢]، ويحاول أن يجمع من كلمة ملة في العربية التي تعني الدين وبين لفظ مله في اليهودية التي تعني (الختان) في اليهودية[٣] ،بل نجده ينسب كثير المظاهر الحضارية والعمرانية في جزيرة العرب الى اليهود فحتى الحصون والقلاع والآطام التي بنيت في شمال الجزيرة العربية يعدها مما نقله اليهود الى بلاد العرب من موطنهم الأول بلاد الشام حسب ما يرى ،[٤] وأين يمكن ان نضع اثار الاقوام العربية مثل الانباط وغيرهم ،بل ويزعم ان لليهود الفضل في ادخال أساليب جديدة في الزراعة[٥] .

وكما تقدم يحاول ولفنسون الاستعانة بما قدمه المستشرقين لأثبات ما يذهب إليه من تأثير اليهودية على العرب، في العديد من العادات والطقوس الدينية ومنها (النسيء)[٦]، فيقول كذلك قرر بعض العلماء من الافرنج أن أمر النسيء نشأ من تأثير اليهود على العرب وأن العرب لا يعرفون كلمة نساة بالعربية ويميلون إلى القول بما كان معروفاً عند اليهود من الناسيء أي الرئيس الديني عند اليهود كان يؤخر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والصيام ويعلن النتيجة بواسطة وفود إلى الطوائف اليهودية المختلفة[٧].

ويبالغ ولفنسون بالقول إن هذهِ الوظيفة أدخلت على العرب قبيل الإسلام وأن ظهور هذهِ الوظيفة في كنانة يدعوا إلى سؤال كبير غير مقنع إطلاقاً وهو هل أن البطن الذي كان يتولى هذهِ الوظيفة كان يهودياً[٨].

بل يصل به الأمر إلى الذهاب أن ممارسة بعض مناسك الحج ما هي إلا بتأثير اليهود معتمداً على التطابق اللفظي لبعض الأسماء كما هو الحال مع كلمة ملة، فيرى أن ما يقوم به بعض رجال صوفة[٩]، من تحديد موعد النفره من عرفات وتحديد موعد رمي الجمرات إنما دخلت إلى العرب من طريق اليهود ويرى ولفنسون أن كلمة صوفه بالعبرية تعني الحارس، وهذا يوافق ما يلمح إليه مما نقله عن بعض النصوص بهذا الخصوص[١٠].

بل يزيد في نقله عن المستشرقين أن أسماء أيام الأسبوع التي يستعملها العرب هي من تأثير اليهود من خلال استخدام كلمة السبت[١١].

ويستمر ولفنسون في اسلوبه الذي تميز به من أنه ينكر أقوال بعض المستشرقين أولاً ويعارضها ومن ثم يناقض نفسه ويحاول تأكيدها بطريقة أخرى، فعن الحرم المكي وبناء الكعبة الشريفة يقول: "ومع أني استنكر استنكاراً شديداً ما استنتجه دوزي في أمر مكة وعلاقة ببطون بني شمعون، فإن هناك أمراً يستوقف الانظار وهو أنه كثيراً ما يحدثنا ابن هشام من حرم مكة وبنائه واشتراك ابراهيم واسماعيل والملائكة في تقديسه بشكل يشبه ما يقصه التلمود عن بناء الهيكل المقدس باورشليم وعلاقته بالآباء الأقدمين به وتقديس الملائكة له حتى خيل إلينا أثناء قراءتنا كتاب السيرة لابن هشام في هذهِ الموضوعات أننا نقرأ صحف التلمود القصصة"[١٢].

ويزعم ولفنسون أخيراً بأن لليهود تأثيراً في مكة وعلى قريش وأن النبي ﷺ قد التقى باليهود قبل البعثة النبوية رغم أن المصادر الإسلامية جميعها لم تذكر ذلك، ويقول: "لا شك أن أفراداً من اليهود كانوا يأتون إلى مكة لاشتغال التجارة، ويفترض أن الرسول ﷺ قد التقى يهود المدينة وخيبر منطلقاً من أن عمل النبي ﷺ بالتجارة للسيدة خديجة (رضي الله عنها) لابد أن يكون قد دخلها خلال الرحلات التجارية وهو مالم تذكره المصادر مطلقاً[١٣]، وإن لم يجد من النصوص ما يؤدي ما ذهب إليه إلى بعض الأخبار مثل زيارة كعب بن أشرف لمكة بعد معركة بدر، وما نقله الواقدي من وجود رجل يهودي اسمه عبد الدار بن جبر[١٤].

ويعلن أخيراً أن لليهود تأثيراً على الديانة الإسلامية حين يقول: "وكان التأثير بتعاليم اليهودية شديداً جداً إلى حد أن قبلة الرسول ﷺ كانت إلى جهة اورشليم كما هي عند اليهود"(١٥)، ويضيف أن الرسول ﷺ كان يعمل على موافقة اليهود من خلال الزواج من الكتابيات وصيام بعض الأيام المشهورة عند اليهو مثل يوم عاشوراء(١٦).

ثانياً : افتراضات مجافية للحقائق التاريخية

من أبرز ما يؤخذ على ولفنسون هي الافتراضات التي يتخيلها مدافعاً عن موقف اليهود خلال الصراع بين الإسلام واليهودية، وهو بهذا يحاول أن يحمل الإسلام والرسول ﷺ اذكاء العداء وإظهار اليهود بالباحثين عن السلم والاستقرار.

فيقول أن اليهود كانوا ينتظرون الرسول ﷺ بفارغ الصبر وأن قدومه إلى المدينة في مصلحته، كونه رجل يدعوا إلى التوحيد وإلى تعاليم التوراة وتمجيد ابراهيم وإن كانوا يأملون أن يتعاونون على محو عبادة الاصنام وأن تتوحد يثرب ويرتقون وينهضون بهذهِ المدينة ومن ثم تكون أعظم مركز تجاري في الجزيرة العربية(١٧).

ومن الافتراضات الأخرى التي يقدمها ولفنسون رغم معرفته الواضحة بالروايات التاريخية إلا إنه يصر على إظهار العرب الكيد لليهود والإعداد المسبق لإجلائهم عن المدينة فيتهم الأنصار بأنهم ما دخلوا في الإسلام ولا عاهدوا النبي يوم بيعة العقبة إلا من أجل إخراج اليهود من المدينة ومحاربة اليهود فيقول: "وأما الغرض الذي كان يرمي إليه الرسول ﷺ فكان غرضاً دينياً قبل كل شيء ثم لإياد قوة لمحاربة قريش التي كانت تسيء إليه وإلى كل مؤمن وكانت الغاية التي يرمي إليها بنو الخزرج سياسة قبل كل شيء وهي إيجاد قوة لمحاربة عدوهم الذي بالغ في قتلهم وإذلالهم وهو بطون اليهود في يثرب، وقد قال الزعيم الخزرجي أبو الهيثم بن التيهان: "إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا"(١٨). ويدعي أن هذا النص إن صح فإنه يقرر أن الغاية التي كان بنو الخزرج يرمون إليها بيعة العقبة ظاهرة جلية إذ هي مقاتلة اليهود وهدم كيانهم، ويحتمل أنه وعد النفر من الخزرج الذين التقى بهم الرسول ﷺ في بيعة العقبة الأولى بأن يقاتل أعداءهم من الأوس واليهود جميعاً(١٩).

ومما يفترضه ولفنسون وهو يخالف الحقائق التاريخية وبالوقت نفسه محاولة نفي الرسالة الإسلامية من خلال جعل الدعوة هي حركة سياسية نتجت عن الوقائع والأحداث التي سبقت بعثة النبي ﷺ وكان من الممكن أن يقوم بهذا الدورة الإصلاحي أي رجل آخر فيقول: "وأما الذي نقلناه عن أيام الفجار فيحتمل أن يكون من العلل المباشرة لظهور الهياج بين قبائل قريش وكنانة وهوازن ويلوح لي أن النضال الشديد الذي ظهر بين قبائل الحجاز في شماله وجنوبه يدل على أنه وجد في القرن السادس الميلادي حركة سياسية قوية بين زعماء الحجاز كان كل واحد منهم يطمح أن يستأثر بالحكم ليتمكن من أن يشيد أركان مملكة جديدة ولكن التنافس أضعف الجميع وقلم أظافرهم وزاد من المتاعب التي كانت تحول بين كل واحد منهم وبين ما يريد حتى ظهر شخص توافرت فيه شروط لم تتوافر في غيره فألف القلوب ..." (٢٠).

وبالمنطق نفسه يفترض قائلاً: "ولو ظهر هناك يهودي ذو عاطفة ربانية قوية ودعا العرب إلى الدخول في دين جديدة يشبه اليهودية في جوهرة ويبقى عربياً في تقاليده وروحه.

ثالثاً: التشكيك بالروايات العربية

عمد ولنفسون كغيره من المستشرقين إلى النفي الكيفي للروايات التاريخية العربية من أجل إثبات الأفكار والآراء التي يحملها في الدفاع عن اليهودية وأسلافه من اليهود من بني قريظة والنضير وقينقاع، واظهارهم بمظهر المسالمين الباحثين عن السلم والاستقرار، وإن ما حدث من صراع وحرب في عصر الرسالة معهم لم يكن لهم أي فعل ودور في إشعالها ويتغاضى عن نقضهم للعهود والمواثيق التي ابرموها مع النبي ﷺ حين مقدمه إلى المدينة، والتي يعترف بها ولفنسون قائلاً: "وعلى كل حال فليس من شك في أن النبي قد عقد العقود والعهود مع العرب واليهود بعد حضوره إلى يثرب فعلى ذلك أميل إلى الاعتقاد بأنها كانت أكثر من معاهدة واحدة ... ومن جهة أخرى فإن عقد معاهدات كثيرة مع بطون كثيرة قد يكون في مصلحة الرسول أكثر من عقد معاهدة واحدة تضم جميع البطون لان المعاهدات الكثيرة تقسم قوة البطون .. وقد نرى الرسول يحارب بطناً من البطون دون أن تتحرك البطون الأخرى وكأن الحرب التي تقع بين المسلمين والبطن من بطون اليهود لم تمس صحيفتها ولم تنقض شروطها"(٢١).

وإن خالف المستشرقين في إثبات العهود والمواثيق بين الرسول ﷺ واليهود إلا إنه يحاول أن ينفي جميع الروايات التاريخية التي حملت اليهود أسباب الصراع حين نقضوا العهد مع النبي ﷺ وتنكروا لجميع المعاهدات، ويحمل المسلمين الوزر في اذكاء العداء وبداية الصراع حين يقول: "ولو وقفت تعاليم الرسول ﷺ عند حد محاربته الديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود أن يعترفوا برسالته لما قوع نزاع بين اليهود والمسلمين ولكان اليهود قد نظروا بعين ملؤها التبجيل والاحترام لتعاليم الرسول ﷺ وأيدوه وساعدوه بأموالهم وأنفسهم حتى يحطم الأصنام ويقضي على العقائد الوثنية لكن بشرط الأ يتعرض لهم ولا لدينهم وبشرط ألا يكلفهم الاعتراف بالرسالة الجديدة لأن العقلية اليهودية لا تلين أمام شيء يزحزحها عند دينها وتأبى أن تعترف بأن يوجد نبي من غير بني إسرائيل"(٢٢).

ويشكك ولفنسون بروايات المؤرخين حول التحالف بين اليهود والمنافقين في مواجهة الإسلام والمسلمين في المدينة المنورة ويتناقض في طروحاته فنجده أول الأمر يزعم أن للمنافقين دوراً كبيراً في إجلاء اليهود واذكاء روح العداء بين اليهود والمسلمين، فيقول: "وكان هناك عنصر آخر لعب دوراً خطيراً في الحوادث اليثربية وهو العنصر الذي يضم أعداء اليهود السياسيين من بني الخزرج فقد كانوا أشد الأقوام خصومة لليهود ولم يكونوا مخلصين للرسول ﷺ فكان همهم منحصراً في أن يصبوا الزيت على النار ليزيدوا في اشعال نار العداوة بين الرسول واليهود وقد عرف بعضهم عند المسلمين بالمنافقين وكان عبدالله بن أبي من زعماء هؤلاء المنافقين(٢٣).

كما يشكك ف روايات السيرة النبوية محاولا نقد الشعر الذي أورده ابن هشام على لسان كعب بن الاشرف في رثاء قتلى قريش وان اقر بأن الشعر يعبر عن الحالة السياسية في تلك الفترة الا انه يرى ان الشعر منحول " ومع أنها تلائم الحالة السياسية التي كان عليها كعب بن الأشرف وبقية قريش بعد يوم بدر ويحتمل أن قائلها كان كعب بن الأشرف فلنا الحق أيضاً أن نشك في صحتها إذ لا يمكن على الإطلاق الاعتماد على كل ما سرد في كتاب السيرة فكثيرا ما نعثر فيه على قصائد طويلة ينسبها ابن هشام لبطون حمير في حين تدل لغتها على أن قائلها من قريش فكيف يمكننا أن نثق بنسبته هذه القصيدة إلى كعب بن الأشرف " ،(٢٤) وهو بهذا يحاول اظهار كعب بن الاشرف قتل دون ذنب وانه لم يحالف

قريش ولم يذهب اليها بهذا التشكيك وهو يناقض نفسه في هذا الطرح فقد اقر بأن لليهود شعراء أجادوا الشعر العربي وان يهود شمال الجزيرة قد تخلقوا بأخلاق العرب وعادتهم فكيف يقارن بينهم وبين حمير في جنوب الجزيرة .

ويشكك كذلك بما اتفق عليه مؤرخي العرب من أن اليهود هم الذين نقضوا العهود ويتفق مع المستشرقين بأن الرسول ﷺ لم يقاتل اليهود إلا بعد أن أصبحت الأحوال ملاءمة له فيقول: "وكان النبي لا يريد أن يحارب اليهود في تلك الظروف التي لم تكن ملائمة بل كان يؤجل الدخول معهم في حرب حتى تتحسن الأحوال وتكون أكثر ملاءمة وفي الواقع كان اليهود يفضلون السلام والسكينة على المشاحنات والمخاصمات لأن السلام والسكينة أساس النجاح في الأعمال التجارية والصناعية"(٢٥).

وينقل أقوال بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ غير سياسته بعد معركة بدر تجاه اليهود ويزعم أن هناك أسباب عديدة عجلت من الصراع مع اليهود قائلاً: "فقد أصبح المسلمون بعد هذا الظفر العظيم أصحاب الأمر والنهي في مدينة يثرب وشرعوا يأخذون بالثأر من الأفراد والجماعات التي أساءت إليهم وطعنت في أعراضهم ... وظهرت عند الأنصار بعد معركة بدر سياسة جديدة جلية حيث أجمعوا على أمرين أن يندمج اليهود مع العرب بواسطة اعتناق الإسلام أو يحاربوهم حتى يجلوهم، وكان المهاجرون ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة مقاومة اليهود في يثرب لأن حالتهم كانت سيئة جداً إذ لم يكن لهم مال ولا مزارع ولا منازل بل كانوا يسكنون مع الأنصار من الأوس والخزرج"(٢٦).

وهو بهذا ينفي الحقائق التاريخية التي عجلت من الصراع مع يهود قينقاع التي اتفق عليها المؤرخين وأن يذكرها فإنه يذكرها كأسباب ثانوية(٢٧)، ويقدم أسباب أخرى لم يقل بها أحداً من قبله وهي أن بني قينقاع كانوا أغنى طوائف اليهود في مدينة يثرب فكانت بيوتهم تحتوى على الأموال الطائلة والحلي الكثيرة والذهب وكان العرب يطمعون في كل ذلك، فضلاً عن أن عدد يهود قينقاع كان غير كثير فكان من السهل مقاتلتهم واستئصال شأفتهم"(٢٨).

وعن حادثة إجلاء بني قينقاع نرى ولفنسون يجعل من تفرق اليهود سبباً في إجلاءهم حين لم يقف بقية اليهود معهم، ويستشهد بالقرآن الكريم حول العداوة التي كانت بين اليهود

ويورد الآية الكريمة: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾[٢٩]، وهو لم يذكر الآيات التي تتحدث عن خيانة بنو قينقاع التي ذكرناها من قبل.

وكما يختار من الآيات ما يناسب طروحاته فإنه يحاول رد الروايات ومنها رواية ابن هشام عن المرأة المسلمة وما حدث لها في سوق بني قينقاع، فيقول عنها: "وفي ابن هشام قصة يذكرها على أنها تتضمن السبب في إعلان المسلمين الحرب على بني قينقاع إلا أن المستشرقين لاحظوا أنه لم يروها عن ابن اسحق الذي هو المرجع الثقة لابن هشام، ثم هي ليست موجودة في كتاب الواقدي لذلك هم يعتبرونها قصة متأخرة وغير واقعية"[٣٠].

وعن اجلاء يهود بني النضير فيشكك ولفنسون بجميع الروايات التي بنيت اسباب اجلاءهم من المدينة وهي محاولة اغتيال النبي ﷺ مما ذهب إليهم يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، ويؤيد قول من سبقه من المستشرقين الذين ينكرون صحة هذهِ الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر[٣١]، التي نزلت بعد اجلاء بني النضير، ويحاول تقديم آراء أخرى تؤيد ما ذهب إليه حين يؤخر مقتل كعب بن الأشرف إلى مابعد معركة أحد كي يظهر الأمر أنه لم يكن أي عداء من قبل زعماء بني النضير ضد الإسلام والمسلمين، ومن الثابت تاريخياً أن كعب بن الأشرف قد ذهب إلى مكة بعد معركة بدر ويرفض ولفنسون جميع الروايات التي حدت مقتل كعب بن الاشرف قبل أحد كي يؤيد وجهة نظر المستشرقين بأن العلاقات كانت على ما يرام قبل يوم أحد، ويستند إلى ما قاله اليعقوبي من أن النبي ﷺ أمر بقتل كعب بن الأشرف بعد يوم أحد أي قبيل محاصرته لبني النضير، وكان قتله بمثابة اعلان الحرب عليهم لأنه كان زعيماً عليهم[٣٢]، ويقول: "وإني أميل إلى رأي اليعقوبي واعتبره تصحيحاً هاماً لحادثة تاريخية كبيرة إذ لا يتصور أن الرسول ﷺ يحرض أنصاره على قتل أفراد من اليهود قبل يوم أحد وليس هناك أي دليل على أن العداوة وجدت بين الأنصار وبين بني النضير إلا قبيل محاصرة الأنصار لأطام بني النضير حيث كان اليهود يوجسون خيفة من أعمال الإرهاب التي كان الأنصار يقومون بها"[٣٣]. وإن أبا سفيان كان قد نزل عند اليهود مما هاجم المدينة في غزوة السويق ويقول: "والذي يظهر لكل ذي عينين أن بني النضير لم يكونوا ينون الغدر بالنبي واغتياله

على مثل هذهِ الصورة لأنهم كانوا يخشون عاقبة فعلتهم ... ولو كانوا ينون اغتياله غدراً لما كانت هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه من فوق الحائط، بل كان في استطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه"(٣٤).

ويرى ولفنسون أن السبب الذي عجل بإجلاء يهود بني النضير من وجهة نظره هو عدم مشاركتهم في معركة أحد ضد المشركين مما أغضب الرسول ﷺ ويقول: "وكان انذار الرسول ﷺ لهم بذلك بمثابة انتقام منهم على عدم اشتراكهم في واقعة بدر وكان الرسول ﷺ يعتبرها كغزوة موجهة إلى مدينة يثرب فكان على بني النضير أن يخرجوا للقاء العدو"(٣٥).

ولكي يثبت هذا الرأي نجده يشكك وينفي صحة الرواية التي أخرجها ابن سعد والتي تفيد أن النبي ﷺ لما خرج بجيش المسلمين إلى أحد لحقت به كتيبة خشناء لها زجل فقال: ما هذهِ قالوا: حلفاء بن أبي من يهود فقال رسول الله ﷺ: لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك"(٣٦)، ويقول عنها: "أما نحن فنغض الطرف عن هذهِ الرواية"(٣٧).

أما عن معركة الخندق فيعمد إلى التشكيك بالروايات التاريخية قائلاً: "ويعتقد المستشرقون أن مؤرخي العرب قد بالغوا في اخبار يوم الخندق وأدخلوا فيها الأساطير التي تسد على الباحث سبيل استخلاص الصحيح من الحوادث"(٣٨)، وهو بهذا يرمي إلى التشكيك بما وقع من يهود قريظة من خيانة ونقض للعهد والتحالف مع المشركين ضد الإسلام والرسول ﷺ والمسلمين في أشد حالات الحرج التي مرت بها المدينة المنورة خلال تاريخها في عصر الرسالة.

وعن إجلاء اليهود عن خيبر في العصر الراشدي فبعد أن يعرض ولفنسون الأسباب التي أوردها المؤرخون والمحدثون عن سبب إجلاء اليهود من الجزيرة العربية في العصر الراشدي(٣٩)، وإيراد رواية ابن اسحاق التي تحدث عن ما وقع لعبدالله بن عمر والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لما ذهبوا إلى خيبر تفقدون أموالهم فيها(٤٠)، إلا إنه يرفض هذهِ الروايات جميعاً ويدعي أن السبب الذي دعى عمر بن الخطاب ﷺ إلى إجلائهم هو الدافع الاقتصادي قائلاً: "ويتضح جلياً أن السبب الذي حمل عمر على إجلاء أغلب طوائف اليهود من خيبر يرجع إلى كثرة الأيدي العاملة من الاسرى الذين كثروا عند العرب بعد فتوح الشام والعراق وفارس وكان هؤلاء الأسرى ذوي خبرة بالأعمال الزراعية كيهود خيبرة، ولما كان

يهود خيبر يدفعون نصف حاصلات الأرض آثر المسلمون أصحاب الأسهم أن يكون لهم كل هذهِ الحاصلات ليتمكنوا من تموين أسرهم من جهة وليوجدوا لهؤلاء الأسرى عملاً يقومون به من جهة أخرى فأشاروا على أمير المؤمنين بإجلاء البطون التي لم يكن لها عقود خاصة مع الرسول ﷺ" (٤١).

ويصل الى نتيجة مفادها التشكيك بكل الروايات التاريخية التي قدمتها المصادر العربية حول تاريخ اليهود وعلاقتهم بالعرب، ويقول بكل صراحة ان المؤرخين العرب عملوا على تشويه صورة اليهود والمشركين وبيان مجد القاهر وذل المقهورين، ويتمنى لو ان اليهود دونوا تاريخهم في تلك الفترة ولو وصلت مصادر إسرائيلية الينا كما يزعم لقارن بينها وبين المصادر العربية ويصل الى حقائق ثابته. (٤٢)

رابعاً : الروح اليهودية في كتابات ولفنسون

يجد الباحث في كتابات ولفنسون العديد من الآراء التي غلبت عليها الروح اليهودية وهو يبرر أعمال اليهود في عصر الرسالة باحثاً عن أي سبب كي يدافع عنهم، فيقول عن ما فعله زعماء بني النضير من محالفة قريش وتأليب الأحزاب ضد الرسول ﷺ والمدينة المنورة في معركة الخندق ويحاول اقناع القارئ بعدالة قضيتهم رغم نقضهم للعهود وما أنفقوا من الأموال لقريش وغطفان: "ومن ينظر إلى حالة بني النضير التعسة التي صاروا عليها بعد إجلائهم عن بلاد سكنوها منذ قرون وكانوا فيها أصحاب السلطان المطلق والثروة الطائلة والمزايا الواسعة لا يوجه إليهم أقل لوم على محاولتهم الرجوع إلى أرضهم وبحثهم عن الأنصار والحلفاء الذين يعينونهم على تحقيق أملهم والثأر من خصومهم"(٤٣).

كما يعمد ولفنسون إلى مدح اليهود وإظهارهم بمظهر المنتصر المعتز بدينه ذو البطولات فيقول من تمسك اليهود بدينهم ورفضهم لمقترح زعيمهم كعب بن أسد بأن يدخلوا الإسلام فقالوا لا نفارق حكم التوراة: "وهذهِ الجمل تدل على رسوخ الديانة في نفوس بني قريظة وأنهم ما كانوا ليعبأوا بالموت في سبيل التمسك بدينهم والمحافظة على عقائدهم"(٤٤).

ويرى ولفنسون أن الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قد تدهورت بعد إجلاء اليهود منها بل يذهب أبعد من ذلك فيعمم القول على الحجاز فيقول: "وقد طرأ تغيير عظيم على يثرب بعد خروج اليهود منها إذ تدخورت شؤونها التجارية والصناعية تدهوراً شديداً.

ويظهر لكل باحث في تاريخ المسلمين بعد الخندق وغزوة بنو قريظة ظاهرة جديدة في منطقة يثرب أولاً وفي الحجاز كله بعد زمن قصير هي: "إن مرافق الحياة الزراعية والتجارية والصناعية أهملت إهمالاً شنيعاً وأخذ أفراد البطون وزعمائها يهاجرون نحو البلاد المفتوحة"(٤٥).

أما أبرز ما نقله المؤرخ اليهودي من أقوال تعد شهادات تدمغ الكثير من الأقوال التي دونها في كتابه، ما ذكره من حسن معاملة الرسول ﷺ ليهود خيبر في موقفين الأول من زواج الرسول ﷺ من أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب فقال: "وقد قلنا إن الرسول ﷺ قد اصطفى لنفسه صفية بنت حيي بن أخطب ... وقد اقتفى النبي ﷺ بعمله هذا أثر الفاتحين العظماء حيث كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التي كانوا يفتحونها ليخففوا من مصابهم ويحفظوا كرامتهم"(٤٦).

كما يعترف ولفنسون بموقف تاريخي كبير يعبر عن تسامح الإسلام في معاملة اليهود، فيقول: "وهناك أمر يستوقف النظر وهو أنه كان من بين الغنائم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة فلما جاء اليهود يطلبونها أمر النبي ﷺ بتسليمها لهم، مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي بالبنان ويحفظون له هذهِ اليد حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ويذكرون بازاء ذلك ما فعله الرومان حين تغلبوا على اورشليم وفتحوها سنة ٧٠م إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم، وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حيث أحرقوا أيضاً صحف التوراة، هذا هو الفرق الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الإسلام"(٤٧).

كما يتعرف ولفنسون بالخطأ الكبير الذي وقع به اليهود في عصر الرسالة وهو من الأمور التي تحسب له فقال عن موقفهم من الدعوة الإسلامية ومعادتها والوقوف مع المشركين قبيل معركة الخندق وان وجد العذر لليهود من زعماء بني النضير الذي كانوا يطمعون للثائر من المسلمين الذين اخرجوهم من المدينة ،فحالفوا قريش وغطفان من اجل غزو المدينة ، "نعم ان ضرورات الحروب أباحت للأمم استعمال الحيل والأكاذيب والتوسل بالخدع والأضاليل للتغلب على العدو ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من

التوحيد الإسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم لأن بني إسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين، والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من الأدوار التاريخية كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين ،هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام"[٤٨]

المصادر والمراجع:

ابن إسحاق: محمد بن يسار،

سيرة ابن اسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، (دار الفكر، بيروت: ١٩٧٨)،

الاصبحي: مالك بن أنس ،

الموطأ، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت: د–ت)

ابن سعد: محمد بن منيع الزهري

الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، ط١، (دار صادر، بيروت: ١٩٦٨)

ابن هشام عبدالملك بن هشام المعافري،

السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، (مطبعة الحلبي، القاهرة: ١٩٥٥)

القشيري: مسلم بن الحجاج،

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (دار احياء التراث العربي، بيروت: د–ت)،

الواقدي، محمد بن عمر الاسلمي

المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (دار الأعلمي، بيروت: ١٩٨٩)

اسرائيل ولفنسون

تاريخ اليهود في جزيرة العرب، (القاهرة، مطبعة الاعتماد، ١٩٣٧)،

الهوامش:

(١) اسرائيل ولفنسون، **تاريخ اليهود في جزيرة العرب**، (القاهرة، مطبعة الاعتماد، ١٩٣٧)، ص٨٥.

(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٨، والملة هي مجموعة العقائد، أو الطريق أو السنة.

(٤) المصدر نفسه، ١٧

(٥) المصدر نفسه :١٧

(٦) النسيء: وهو تأخير الاشهر الحرم. ينظر: محمد بن عبدالرؤوف ، **التوقيف على مهمات التعريف**، (دار الفكر، دمشق: ١٤١٠هـ)، ص٦٩٩.

(٧) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٨١.

(٨) المصدر نفسه، ص٨٢.

(٩) قال ابن هشام: وكان الغوث بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة وولده من بعده، وكان يقال له ولولده حوفه وإنما ولي ذلك الغوث بن مر، لأن أمه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول من أخواله من جرهم فولي الإجازة بالناس من عرفة، المكان الذي كان من الكعبة. ينظر: ابن هشام عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا، (مطبعة الحلبي، القاهرة: ١٩٥٥)، ج١، ص١١٩.

(١٠) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٨٣.

(١١) المصدر نفسه، ص٨٣.

(١٢) ومن المعلوم أن ما ينقله ابن هشام في السيرة إنما هي ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا تلميح من ولفنسون إلى تأثر القرآن والحديث باليهود. رغم أنه يقول عن يهود الحجاز أنهم كانوا منعزلين عن أخوانهم في حلب وفلسطين الذين كانوا لا يعترفون بيهودية يهود الحجاز، ولفنسون، ص٨٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص٩٤.

(١٤) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٩٢. قال الواقدي: وحدثني شيخ من خزاعة عن جابر بن عبدالله قال: كان غلام لبني عبد الدار غلام يقال له جبر، وكان يهودياً، فسمع رسول الله ﷺ قبل الهجرة يقرأ سورة يوسف فعرف الذي ذكر في ذلك فاطمأن إلى النبي ﷺ فأسلم. ينظر: الواقدي، محمد بن عمر، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (دار الأعلمي، بيروت: ١٩٨٩)، ج٢، ص٨٦٥.

(١٥) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٩٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(١٧) وهو بهذا يخالف أبرز الروايات عن حيي بن أخطب الذي قال لأخيه ياسر حين سأله عن النبي ﷺ فقال عداوته ما بقيت، كما أن ولفنسون يناقض هذا الطرح حتى يعترف بأن اليهود كانوا قد وقعوا في خطأ حين صرحوا أمام زعماء قريش أن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطالبهم، ص١٤٢.

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٤٢.

(١٩) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٠٥.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٢١) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢١.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٢٣) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص من المعروف والمشهور أن ابن أبي هو من كان طلب من الرسول أن يخفف العقاب على يهود بني قينقاع، قال ابن اسحاق: "حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فقام عبدالله بن أبي سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد أحسن في موالي ... لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربع مائة فراس وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود ... فقال الرسول ﷺ: هم لك. ينظر: ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، **سيرة ابن اسحاق**، تحقيق: سهيل زكار، ط١، (دار الفكر، بيروت: ١٩٧٨)، ج١، ص٣١٤.

([٢٤]) ولفنسون ،تاريخ اليهود ،ص٣٣

(٢٥) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢٧.

(٢٦) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢٨.

(٢٧) ما اتفق عليه المؤرخين أن سبب إجلاء يهود قينقاع وردت في الآيات القرآنية قال ﷻ: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾ ، سورة الانفال، الآية ٥٨.

(٢٨) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٢٨.

(٢٩) سورة البقرة، الآية ٧٣.

(٣٠) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٠. وبعد الرجوع إلى الواقدي نجده يقول: "فبينما هم على ما هم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد، جاءت امرأة نزيعة من العرب تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع، فجلست عن صائغ في حلي لها فجاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها ولا تشعر

فخل درعها إلى ظهرها بشوكة، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها .... القصة". ينظر: الواقدي، المغازي، ج١، ص١٧٦-١٧٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص١٣٥؛ الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٣٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٣؛ محمد بن اسحاق، سيرة ابن اسحاق، ج١، ص٣١٦-٣١٧.

(٣٣) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٤.

(٣٤) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٣٦) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢١٥؛ ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: احسان عباس، ط١، (دار صادر، بيروت: ١٩٦٨)، ج٢، ص٣٩.

(٣٧) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٣٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٣٩) مالك، مالك بن أنس الاصبحي، **الموطأ**، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت: د-ت)، ج٢، ص٤٧٠.

(٤٠) مسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: م**حمد فؤاد عبدالباقي**، (دار احياء التراث العربي، بيروت: د-ت)، ج٣، ص١٣٨٨.

(٤١) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٨٥.

([٤٢]) المصدر نفسه :١٩

(٤٣) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٧٠.

(٤٤) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٥٢-١٥٣. ويمكن الرد على ولفنسون بما كتبه الدكتور صالح احمد العلي في كتابه الحجاز عن الزراعة واساليب الري في الحجاز خلال العصر الراشدي والأموي.

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(٤٧) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص١٧٠.

([٤٨]) المصدر نفسه :١٤٢